مقتل فيليبس

لاسماعيل مظهر

— ١ —

«المشهد حجرة الملكة أولمپياس، زوج الملك فيليبس المقدوني، بمدينة ايجه . الحجرة مطلة على حديقة القصر، والوقت ليلا، والقمر مرسل اشعته من خلال الاشجار الملتفة، والسكون شامل كل الارجاء ، اللهم الا حفيف الاشجار، اذ تثيرها نسمات تهب من ناحية البحر »

الملكة أولمپياس، وابنها الاسكندر في خريف سنة ٣٣٦ ق . م .

أولمپياس — أأنت شجاع يا بنيّ ؟

الاسكندر — إلاّ عليك يا أماه

. . . . . كيف أراك اليوم صامتة واجمة ، وفي عينيك دمعة حائرة . ليت شعري أتلك دمعة الحزن ، أم دمعة الألم ، أم دمعة القسوة والانتقام ؟ أدمعة الشهوة الى الدماء هي ، أم دمعة الفرح بنبإ عن أبي وغزوات جيشه في في ميدان الشرق ؟

. . . . . لماذا انت صامتة كتمثال ڤينوس ؟ إنما هو صمت يمم على تعابير لم أعهدها من قبل . ان ما يمتزج به دمعك من معاني الغضب ، يذهب بكل الأنوار المنبعثة من قلبك

. . . . . تكلمي يا أماه . بوحي بنجواك لابنك . . . ولي عهد مقدونيا ووارث فيليبس العظيم . . . . ابنك الملك غير المتوّج اليوم ، والذي سيكون يوماً من الايام سيد هذه البلاد . . . . وسيد إفريقية السوداء . . . . وممالك فارس . . . . . وآسيا جميعاً

أولمپياس — بأ يذهب بأ مالك ويبدد أحلامك . بأ أختي أن تقر أزاءه همتك وتخونك شجاعتك

الاسكندر — أي نبأ يا أماه ذلك النبأ العظيم ؟ أظهر المذنب في شرقي الأفق ينذر بخراب هذه الديار ، أم مات انقائد «فرمنيون» ساعد أبي الأيمن ؟ أمات «هفستيون» زميلي ، أم قضي على بطليوس بن لاجوس ، أقرب شباب مقدونيا من قلبي وأنزلهم من نفسي ؟

. . . . . إن صمتك أليم يا أماه ! ان هدوءك وحزنك وغضبك .... وظهور جماع مافيك من صفات فذة في الصورة التي تلابس ملامحك في هذه اللحظة ، يكاد يذهب بعقلي !

. . . . . تكلمي ! . . . قولي أخيراً — هل قتل « پرديقاس » في المعركة الاخيرة ؟ بل خبريني أقتل أبي ؟

أولمپياس — أبوك ! . . . . أتذكر أباك وتخشى عليه الموت ؟ بل اخشَ الموت أن يكون من نصيبك ؟ واخشَ الطرد والحرمان . واخشَ ان تصبح أفاقاً ، تطوي الاقطار مرتزقاً ، إما بسيفك إن كنت من سلالة الملوك ، وإمَّا بماء وجهك ان كنت من سلالة الصعاليك والدهماء

. . . . . انك يابنيَّ ما تزال صغير السن ، قليل الخبرة بالحياة . ولكن . . . . . .

الاسكندر — ولكن ماذا يا أمَّاه . . . . . ولكن قولي احرمني ابي من وراثة عرشه ؟ ألم تخبريني أني ابن « زفس — آمون » ؟ وأني سوف املك مشرق الشمس ومغربها !

اولمپياس — (مغضبة) ألم أنهكَ من قبل ان تكلم هذا السر وان تثير أبوَّة فيلبس ، حتى بحين الوقت الذي تعلن فيه ابوَّة الآلهة ؟

. . . . . يا لك من احمق

الاسكندر — لئن كان ابي قد حرمني . . . . . فلا تنسَيْ ان « نقطانبو » قريب ، وأن سحره رهيب شديد

أولمپياس — ان فيلبس اذا لم يكن قد حرمك من وراثة عرشه ، فانه يكاد يفعل

الاسكندر — أوهام تغذيك بها اوفاسطيا ، وأضاليل ينقلها اليك ذلك العبد الافريقي !

اولمپياس — اتذكر الاوهام والاضاليل ايها الفتى ، وأبوك يتهمني بالخيانة ، توطئة لطردي من قصره الملكي ، ليتزوج من كليوبطرا

الاسكندر — كليوبطرا ! ابنة أخ أطالوس ! . . . . . ولكن اي جديد في هذا ! لقد

تزوج ابي من نساء كثيرات قبل اليوم . فهل يبيع وارث عرشه من اجل امرأة جديدة يتزوجها ؟

اولمپياس — أغاب عنك ان أباك رجل متردد كثير الشك ، قليل الثبات على عقيدة ؟ فهو لا يبيع الاسكندر من اجل امرأة ، وانما يبيعه من أجل ولد جديد يرزقه من زوجة جديدة تفضل امك جمالاً وشباباً وفتنة ! لم ..... انه يضحي بك من أجل ولد يرزقه من كليوبطرا الفاتنة . . . . . ولد من صلبه ، لا ولد يهبهُ لهُ « زفس — آمون » . وأنت تعرف فوق ذلك ، ومن حوادث وقعت بين جدران هذا القصر الملكي أن أطالوس . . . . . .

الاسكندر — انهم غادر

اولمپياس — وشيء آخر فوق انهُ لئيم ، وفوق انه غادر

الاسكندر — وأنه يرغب في ان يكون عظيماً في هذه الديار ، وان يقصي عن أبي خلصاءه ! فرمنيون وفرمذقاس و . . . . . .

اولمپياس — لقد قربت ان تفهم الحقيقة . . . . . فزد الى هذا شيئاً آخر

الاسكندر — أيطمع في ان يكون قائدَ مقدونيا الاعظم ؟

اولمپياس — وشيء فوق هذا . . . . .

الاسكندر — أيتطلع ان يرسله أبي على رأس الجيش المعد لغزو بلاد فارس . . . . . وقد يساعده الحظ ، فينشيء قيصرية شرقية تنافس مقدونيا ؟ . . . . .

اولمپياس — وشيء آخر فوق هذا !

الاسكندر — شيء آخر ..... لم يبق إذن الا عرش مقدونيا نفسه

اولمپياس — ذلك هو مطمحه . . . . . تلك هي امنيته . . . . . ذاك هو امله ومناه . فحياتك عقبة في سبيله ، وأصدقاؤك هفستيون وبطليوس وسليوقوس وأنطيغونس اعداؤه . وهو اشد لدادة لصديقك القيل فوزانياس ، زهرة شباب مقدونيا وأنبل نبلائها ، منه الى الاولين

هذا هو الشأ الذي استودعك سرّه . فكن شجاعاً يا بنيَّ ، وتلقَّ الحوادث قوي القلب ثابت الجنان

الاسكندر — كما عهدتني ياأماه . . . . . ولكن هدوء نفسك ، وسكون جأشك ، يجعلاني أشك في صحة هذا السر الذي تقصين به إليَّ . ولولا دموعك ، اذن لكنت الى الشك فيه أقرب مني الى اليقين به

وأخذ يمشي في القاعة ذهاباً وجيئة ، ويده اليمنى على مقبض خنجره ، وقد تدلت جدائل شعره الأسود على عنقه الفضي الجميل

..... — اذن فعرشي وتراث آبائي في خطر ..... ذلك القائد أطالوس يتطلع إلى عرش أبي . كلاَّ . ان مقدونيا لن يحكمها الاَّ الاسكندر وحده . أمَّا أطالوس فلن يصل الى غرضه بفتاة امرأة يقدمها لابي ذبيحة لاغراضه وضحية لمراميه ..... بالك من أب ..... ترمي الأم بالخيانة إرضاء لشهواتك المستهترة ، وتلقي الابن بين انياب المطامع الدنيوية ، وانت غارق في بحر من الأوهام التي يحيك شبكتها من حولك رجال انت لم آمن ، وبهم واثق ثقة الغفلة والضعف

وكانت أمه أولمپياس ترمقه بحجة بتؤدته ورصانته التي لم تكن الاَّ ظاهرة تختفي وراءها النار المتأججة في صدره ، والثورة العنيفة التي تكمن في أعصابه

الاسكندر — الى اللقاء يا أماه

اولمپياس — في حراسة زفس ..... وبارادة الآلهة المريخ

الاسكندر — سيكون لي ملك الدنيا

في مربض القصر الملكي — الاسكندر وفوزنياس

الاسكندر — لقد طاش سهمك يافوزنياس . لم أعهد فيك من قبل ان تحور عزيمتك فيرعش القوس في يدك ويضل السهم مرماه

فوزنياس — هذا شذوذ لا يقاس عليه . ألم يخبرنا ارسطوطاليس أن القياس يكون مع الكثرة لا مع الشذوذ ؟

الاسكندر — صه ..... دعنا الآن من ذكر ارسطوطاليس . انما نحن في موقف لا يجب ان نقيه فيه العقل والمنطق . انما نريد ان نوقظ الارادة ونحرك الشهوات

صوّب يافوزنياس مرة اخرى . صوّب نحو القلب وارم السهم يد ثابتة . كن شجاعاً ولا تخش أن يصيب سهمك قلب الملك انما هي ثيابه الملطخة على جذع الشجرة

فوزنياس — بربك يامولاي خبرني ؟ ما الذي حملك على ان تأتي بثياب جلالة الملك وتجعلها من فوق الشجرة هدفاً لسهامنا هذا الصباح ؟ إني لأرى ان في ذلك جُرأة على حرمة جلالته ليس من حقك ان تنتهكها ، وان تدعو شاباً مثلي الى مشاركتك في هذا الانتهاك الوبيل

ليت شعري ما يكون مصيرنا لو ان جلالة الملك يعلم بعبثنا هذا ؟ اني اشك في انهُ يغفر لنا هذه الزلة ؟ أما مصيري فالنفي — وأما مصيرك . . . . . .

الاسكندر — فالحرمان والطرد

فوزنياس — يا للآلهة . . . . . الحرمان . . . . . الطرد ! أيحرم ووريث عرش مقدونيا من وراثة عرش أبيه العظيم لقاء عبث ، هو من عبث الشباب أهون ضروب العبث ؟

الاسكندر — أرم السهم أيها النبيل . . . . صوّب بتؤدة ، فان السهم يجب أن يخترق القلب . يجب أن يخترق الصميم ، وان يسيل الدم كفارة عن ذنوب الحياة

قف هنا — قدم رجلك اليسرى قليلاً ، وأحن ركبة رجلك اليمنى وثبتها في الارض ، واقبض على القوس بيدك اليسرى واستوثق ، وشد الوتر بقوة وصلابة بيدك اليمنى ، وصوّب . . . .

***

. . . . . ولم يكد الاسكندر يتم كلامه حتى خرج السهم من قوس فوزنياس بزٍّ أزيزاً ، وأهوى نحو الصدر فاخترق الثياب وغاب في جذع الشجرة إلى دون النصاب

والتفت فوزنياس إلى الاسكندر ليرى أثر ذلك في نفسه فألفاه مطرقاً غارقاً في تيه من الافكار ، وقد اعتمد على القوس الذي بيده خشية أن يسقط ، والتى جبهة البهام ناحية

***

فوزنياس — ما اتابك يامولاي ؟ أتشكو ألماً — أبك من سوء

الاسكندر — كلاَّ أيها السيد — كلاَّ أيها الصديق النبيل . . . إنما شعرت بأن السهم اخترق قلبي عليّ ثياب أبي . . . . . عجل يافوزنياس واتبعني

في ردهة القصر الكبرى

فوزنياس — ما هذه الاحاجي يامولاي ؟ ما الذي يحملك على أن تجعل ثياب الملك غرضاً لسهامي وحدي ؟ انك لم تصوّب اليها مرة واحدة . . . . . ثم أمرتني بأن اصوّب نحوها فأخطأت مرة وأصبت أخرى . . . . . ثم امرت بأن أحضر الثياب وأتبعك . . . . . إلى هنا . الى ردهة القصر الكبرى

بحق زيوس يامولاي لا تستسلم للغضب ، ولا تجعل عقلك نهباً للشهوات . . . .

تمثل هذا الاحتقار تُرمى ثياب الملك فيليبس . . . . ثم يركلها ويريث العرش بقدمه . ان في ذلك لدلالة على أن عواصف القدر تتجمع في جو مقدونيا

الاسكندر — عواصف هوجاء يا فوزنياس . بل ثورات وأعاصير . كيف لا وعرش مقدونيا يرجف تحت قدمي أطالوس

فوزنياس — أطالوس . . . . . ! وأين سهامي ، وأين خنجري وساعدي . يالهُ من لئيم . أطالوس الماكر الغبي يتطلع إلى عرش مقدونيا

لا يا مولاي . لاتذهب مع الحدس إلى هذه النهاية . إن أطالوس أضعف من أن يتطلع إلى العرش . إن قلبه ليهد فرقاً ، ويتبدد مزقاً ، إن هو فكر في هذا الامر . ناهيك بأن يقدم على العمل له

لا يامولاي . لو أنك ذكرت فرمنيون أو فرفرقاس ، إذن لكنا إلى تصديق النبأ أميل . فان فرمنيون فيه قلب ، وفرفرقاس فيه عقل . والانسان في هذه الدنيا إما بقلبه وإما بعقله . وأطالوس ليس فيه إلاّ النفاق . وهو من صفات الحمق والجهلاء

الاسكندر — إن الحمق والسفه ، إن استعانا بالمرأة تختلب لب رجل وأهي الارادة متقلب الاهواء مرتع النفس حائر الروح ، زوّدا أطالوس بسلاح مرهف رهيب . وكما أن في حقيبتك سهاماً ، وفي يدك خنجراً ، فان في يد إطالوس كليوبطرا ابنة أخيه

فوزنياس — كدت أدرك الحقيقة يا مولاي . إذن فخذ حذرك . إني أعظك أن تكون من الغافلين . . . . . كليوبطرا محل اولمبياس ، وولد منها يحل محل الاسكندر بعد ان تمزق الاسكندر خناجر أطالوس وشيعته . لا وحق زفس . فان دمي ثمن : إما لعرش فيليبس ، وإمّا لعرش الاسكندر

الاسكندر — سرعان ما نسيت يا فوزنياس . ما أضعف ذاكرتك

فوزنياس — لم أنس من شيء يا مولاي . لم أنسَ ان سيف أطالوس محدود باتر ، وان يده قوية باطشة عند ارادة الشر ، وان اعوانه اشد منهُ بطشاً وأنفذ منهُ صبراً في انتظار الغنيمة . لم انسَ يا مولاي ان حقد أطالوس وطمعهُ وجشعهُ وتطلعهُ الى عرش ابيك ، كلها عوامل توري في صدره نيران الحقد والغضب ، فتجعل سلاحهُ اشد فتكاً ، وأرهف بتراً

الاسكندر — كلاّ لقد نسيت ان « نقطانيبو » آخر ملوك الفراعنة الذي طرده الفرس من بلاده واكبر السحرة في تلك البلاد العجيبة المحوطة بالاسرار ، هو الذي وهبني بسحره

لأبي أوليمپياس ، وكانت قد شكت اليه ان آلهة الاغريق الذين يحيكون شبكة هذا الوهم الدنيوي ، قد نبذوها في صحراء القفر الجدبة . فوعدها بان يزورها « زفس — آمون » متنكراً في صورة افعوان نيبي لها ويهبي في الوقت نفسه ملك الارض . فلما حملت بي شق على أبي ان تكون أمي قد حملت بي بغيًا ، فتجلى له « زفس — آمون » بالصورة التي تجلى بها لامي ، وقص عليه قصتها وقصتي

فلستُ يا فوزنياس كما تعلم سليل ملوك الارض ، وانما انا سليل آلهة السماء سليل اولئك الذين ينزلون جبل أوليمپوس الأعلى ويشرفون بسلطانهم الأبدي على تقدير ما يقع في هذا العالم من أحداث . فلا خناجر أطالوس وشيعته ولا حقد كليوبطرا وفتنتها ، ولا تردد فيلبس يغيرون عنهم شيئاً . فان أبي الأبدي يرمقني بعين لا تنام ، والقدر يهيء لي سبيل السيادة على هذه الدنيا ولسوف اضرب فيها حتى ابلغ مجمع البحرين ، او مطلع الشمس

فاذهب يا سليل نسلاء مقدونيا وفخر شبابها ، ولتكن يدك قوية ثابتة ، وسلاحك باتراً مرهفاً ، واغمد خنجرك ، اما في صدر أطالوس ، واما في صدر فيلبس . وايهما اخذت قدمه لك حلال

أنا هنا نقطانيبو وروح « زفس — آمون » آمرك بأن تنفذ وعليك ان تصدع بالامر

فوزنياس — (راكعاً أمام الاسكندر) سمعاً وطاعةً يابن السماء

الاسكندر — هيء نفسك للساعة الرهيبة واشحذ خنجرك ، وجُدّ من غرب سيفك ، وتزود من مخايل المجد التي تنتظرك تحت لوائي على ضفاف النيل ، ومن فوق هضاب آسيا ، بشجاعة تسدد خطواتك وتثبت فؤادك

وكما اني آمرك بأن تقتل بضربة تهتز لها أوتار القلوب ، سأهيء لك سبيل النجاة من شيعة أطالوس ، ومن سيف پرديكاس ، وخنجر فيليون ، واترابهم قواد جيش أبي

سأضفي عليك الحماية التي استمدها من أبي الأبدي . فهيء نفسك ، وانتظر الامر الاخير

فوزنياس — إني في غير حاجة لان أتهيأ يا مولاي فلست في ساعة اشجع مني في اخرى ولا اخلاصي لك بأثبت في آونة منهُ في غيرها . فانما لك الامر وعليَّ الطاعة

الاسكندر — إنما تهيأ للمجد والرفعة وخلود الذكر في سبيل مقدونيا

فوزنياس — ليك . ليك . يا سليل آلهة اولمپوس [لها تتمة]